توطئة

يسمى بـ (الجاهلية أو العصر الجاهلي) ويطلق أيضاً على المرحلة الزمنية التي سبقت الاسلام وظهوره، وامتدت مدة الجاهلية في نظر الكثير من المفسرين من الجاهلية الأولى التي ولد فيها سيدنا إبراهيم (عليه السلام) إلى الجاهلية الثانية التي ولد فيها النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم).

ومعنى الجاهلية: هي عصور وثنية جاهلة أمور العبادة والتوحيد، فالجاهلية تعني التشبث بالوثنية من وجهة النظر الاسلامية إذ نجد ذلك في قول النبي (صلى الله عليه وعلى اله وسلم): أربع في امتي من امر الجاهلية لا يتركوهن: ((الفخر بالاحساب والطعن في الانساب، والاستسقاد بالنجوم والنياحة)). فالجاهلية لا تعني عدم المعرفة، والعلم، والثقافة، وإنما تعني الجهل بأمور الدين الاسلامي والتشبث بعبادة الاوثان، والجاهليون أناس عبدوا تماثيل عرفت بـ(الاصنام) و بعبادتها جعلوا لله شركاء لتكون واسطة بينهم وبين الله كما يدعون. كقوله تعالى: ((لنا اعمالنا ولكم اعمالكم، سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين))؛ لذا قيل عن تلك المدة (الجاهلية).

Scanned with CamScanner

أولا (أولياته... اغراضه ... خصائصه....روايته)

أ-أولياته

بدأ ظهور الشعر الجاهلي وسط مراحل تهذيب طويلة تشعبت مناحيها بتقلب الحوادث والمؤثرات. ويبدو أن العرب قد خطوا طريقهم في نظمه أول الأمر من المرسل إلى السجع ومن السجع إلى الرجز، ثم تدرجوا من الرجز إلى القصيد. فكان السجع هو الطور الاول من اطوار الشعر ولاسيما بما يسمى بـــ(سجع الكهان) وهو لون توخاه الكهان في مناجاة للآلهة، وتقييدا للحكمة، وتعمية للجواب، وفتنة للسامع. إذ زعم الكهان أنهم مهبط الإلهام، وانجياء الآلهة، فكانوا يسترحمونها بالاناشيد، ويستلهمونها بالأدعية، ويخبرون الناس بأسرار الغيب في جمل مقفاة موقعة اطلقوا عليها اسم السجع تشبيها لها بسجع الحمامة لما فيها من تلك النغمة الواحدة البسيطة. فكان كهان العرب بذلك ككهان الإغريق هم أول الشعراء في الجاهلية.

و وسط ارتقاء الأذواق والطباع في الغناء انتقل الشعر الجاهلي من المعابد إلى الصحراء، ومن الدعاء إلى الحداء، فكان مصدر الشعر الجاهلي هو الغناء، ما بين أخذ الكهنة السجع من هديل الحمامة، والعرب الرجز من إيقاع مشي الناقة، في ألحان مميزة و أوزان متعددة فبإجتماع الوزن والقافية ظهر لنا الرجز، فكان للحماسة وزن، وللغزل وزن، وللهزج وزن، وهكذا إلى سائر الأوزان التي حصرها العالم الخليل بن أحمد الفراهيدي في خمسة عشر وزنا سماها بحوراً.

ب-أغراضه

عُرف الشعر الجاهلي بثلاثة أنواع رئيسة هي:

Scanned with CamScanner

مكتبة احمد

١- الشعر الغنائي أو الوجداني وهو أسبق الأنواع الشعرية إلى الظهور؛ لأنّ الشعر أصله الغناء، والإنسان إنما يشعر بنفسه قبل ان يشعر بغيره، ويتغنى بعواطفه قبل أن يتغنى بعواطف سواه؛ لذا مثّل الشعر طبعه وعبّر عن شعوره به بما يملكه من مادة كالخيال والحس، فالشعر العربي شعر غنائي محض، لا يعنى الشاعر فيه إلا بتصوير نفسه، والتعبير عن شعوره وحسه فقط. ومن ثم نشأ فيه التكرار، وتوارد الخواطر، ووحدة الاسلوب، وتشابه الاثر.

ولم يرَ الجاهلي في البدء غير وجوه البادية من مرئيات ومناظر تحيط به ولم يسمع من الأقاصيص إلا البطولة والحرب، ولا يعرف من الجمال إلا جمال المرأة، لذا أبدع في وصف ما شاهده من حيوان وسهل وجبل، وأجاد التعبير عن عاطفة الحماسة يوم الخصومة والجدل، وتفنن ما شاء له الحب في التشبيب والغزل.

٢- الشعر القصصي وهو نظم الوقائع الحربية والمفاخرات القومية في شكل قصة، وكثرة الأساطير وهي من أغزر ينابيع الشعر القصصي فزخرت بحور الشعر العربي بالفخر والحماسة والمدح والهجاء والرثا والعتاب والغزل والوصف والاعتذار والحكمة، وخلا مع اتساعه وتشع اغراضه من الملاحم المطولة التي تعلن المفاخر القومية وتشيد بذك الأبطال والفروسية كالإلياذة لليونان، والإينياد للرومان ومهايهارته للهنو والشاهنامة للفرس.

Scanned with CamScanner

٣- **الشعر التمثيلي** وهو أن يعمد الشاعر إلى واقعة فيتصور الأشخاص الذين جرت على أيديهم وينطق كلا منهم بما يناسبه من الاقوال. وينسب إليهم ما يلائمه من الافعال.

ويبدو أن الشعر الغنائي كان موجودا وملموسا في شعر العصر الجاهلي أكثر من الشعر القصصي والتمثيلي فلا نجد لهما أثر ملموس؛ لأنّ مزاولتهما تقتضي الروية والفكرة والتحليل والتطويل، وكان العرب أشد الناس اختصارً للقول وأقلهم تعمقا في البحث. فهم أهل بديهة وارتجال؛ كما يتطلب هذان اللونان من الشعر الالمام بطبائع الناس، والعرب شغلوا بأنفسهم عن النظر فيمن عداهم؛ إذ قل تعرضهم للأسفار البعيدة والأخطار الشديدة، وحرمتهم من ذلك طبيعة أرضهم، وبساطة دينهم، وضيق خيالهم، واعتقادهم بوحدانية إلههم.

Scanned with CamScanner

عرف الشعر الجاهلي بخصائص تميز بها من أهمها:

١-الطابع البدوي: لم يغادر الشعر الجاهلي الحياة البدوية إلا وتحدث بصدق عن جوانبها وصورها في الحرب والسلم، وفي المثل العليا والعادات الاجتماعية وطبيعتها. فكانت مادة الشاعر الجاهلي مستمدة من بيئته الصحراوية البدوية، لذ فهو لا ينتحل صوره، بل يتناولها من واقعه ومحيطه

كقول امرئ القيس في وصف الفرس:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّ

مكتبة احمد
قرب ا
Scanned with CamScanner

السَّيْلِ مِنْ عَلِ

مكتبة احمد

مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً

لذا فقد حدد هذا الأثر البدوي الشعراء فتشابهت صورهم، وتكررت معانيهم، ومن ذلك وقفة الطلل وتشبيه الديار الدارسة بالوشم كقول طرفة بن العبد:

لِخَوْلَةَ أَطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ تَلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

وتناول هذا المعنى أيضا من قبل الشاعر زهير بن أبي سلمى:

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

٢-الواقعية والوضوح: إنَّ الشعر الجاهلي شعر واقعي، لأنه صور بيئته بأصدق تصوير، بعيدا عن المبالغة والتعقيد فمعاني الشعر واضحة تلائم الفطرة وتنسجم وطبيعة المجتمع البدوي، لاشك أنَّ البساطة في نقل الصور والمشاهد عكست صفاء ذهن الشاعر الجاهلي واعتدال مزاجه، وهما يدلان على عقلية هادئة مستقرة لا اضطراب فيها ولا غموض. فالشاعر الجاهلي كان امينا فعلا حين يذكر الديار ويفخر وحين يرثي لأنه يتحدث عن أحوال وتجارب احس بها وذكريات عاشها من ذلك قول لبيد واصفا حاله بعد موت أعمامه وابنائهم:

أَصْبَحْتُ أَمْشِي بَعْدَ سَلْمَى بْنِ مَالِكٍ وَبَعْدَ أَبِي قَيْسٍ وَعُرْوَةَ كَالأَجَبْ

حِذَاراً عَلَى بَاقِي السَّتَامِينِ

Scanned with CamScanner

يضجُّ إذا ظلُّ الغُـراب دَنـا لَـهُ
والعَـــــــــــــــــصَبْ

ومن مظاهر الواقعية، الإيجاز إذ كان الشعراء الجاهليون لا يطيلون ولا يتأملون، فهم يقفون عند المعنى وقفة وسرعان ما يتركونه إلى غيره. لأن الوقوف الطويل والتفصيل لا يلائم طبيعة حياتهم ومزاجهم وعقليتهم، ولعل أقرب صور الإيجاز تتمثل في التشبيه إذ يقرب المعاني البعيدة ويركزها في صور قريبة محسوسة. لتكون الصور الحسية المظهر الآخر من مظاهر الواقعية بما فيها من تجسيم وتشخيص وفي صور مادية ومعنوية تمثلت بالقيم الخلقية مثل: (الحلم والكرم والوفاء والشرف). فالشاعر الجاهلي يميل إلى تصوير المعنويات والتعبير عنها مجسمة في ماديات محسوسة أو متعلقة باشخاص.

٣-التصوير: يكثر التصوير في الشعر الجاهلي وبخاصة في الوصف، فالشاعر الجاهلي حين يرسم لوحات كاملة يعنى بكل تفاصيلها وأجزائها على الرغم من إيجازها لتأتي صورته معبرة واقعية فيها تحقيق وتدقيق. لذا عرفت الصور الجاهلية في أكثرها أنها تصوير لهيأة الموصوف، و وصف شكله الخارجي وهذا الوصف حسي مادي، فيه تجسيم وتشخيص، ولكن بعض الشعراء وجهوا عنايتهم إلى وصف حالة الموصوف سواء أكان حيوانا أم انسانا، وصفوه وصفا داخليا، صوروا فيه الحياة والحركة وتحدثوا عن نزعاته النفسية والعاطفية.

ومن تمام الصورة عناية الجاهليين بالمواضع والمنازل والديار ومخاطبتها ومناجاتها وتحديد أماكنها وتكرار ذكرها، وهذه الظاهرة لها

Scanned with CamScanner